

تفسير البغوي

وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

(ولاجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) . فلما اطمأن يوسف

في ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير ، وبنى الحصون والبيوت الكثيرة ، وجمع

فيها الطعام للسنين المجدبة ، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون

المجدبة بهول لم يعهد الناس بمثله . وروي أنه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل

يوم مرة واحدة نصف النهار ، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو

الملك في نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع ! . فقال يوسف : هذا أوان القحط

. ففي السنة الأولى من سني الجذب هلك كل شيء أعدوه في السنين المخصبة ، فجعل أهل

مصريتاعون من يوسف الطعام ، فباعهم أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا

درهم إلا قبضه ، وباعهم السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها

شيء ، وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع ، وباعهم في السنة

الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق في يد أحد عبد ولا أمة ، وباعهم السنة الخامسة بالضياع

والعقار والدور حتى احتوى عليها ، وباعهم السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم ،
وباعهم السنة السابعة برقابهم [حتى استرقهم] ، ولم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار
عبدا له .فقال الناس : ما رأينا يوما كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من هذا .ثم قال يوسف
للملك : كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في ذلك ؟فقال له الملك : الرأي رأيك
ونحن لك تبع .قال : فإني أشهد الله وأشهدك أنني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ، ورددت
عليهم أملاكهم .وروي أن يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام ، فقيل له : أتجوع
وبيدك خزائن الأرض ؟ .فقال : أخاف إن شبت أن أنسى الجائع ، وأمر يوسف عليه
السلام طباخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار ، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم
الجوع فلا ينسى الجائعين ، فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار .قال : وقصد الناس
مصر من كل أوب يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم - وإن كان عظيما
- من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس ، وتزاحم الناس عليه وأصاب أرض كنعان
وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة ، ونزل يعقوب ما نزل
بالناس ، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة ، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه ، فذلك قوله تعالى

